أسماء
نشرة تستعرض سير وتراجم مضيئة متصلة بتاريخ الشيعة وأهل البيت عليهم السلام
١٠

المحرر:
صادق جعفر
رضوى للانتاج الثقافي

شبكة الوكلاء العامون للإمام الصادق عليه السلام

يبدو من السير والمرويات التاريخية أن الوكلاء العامون للإمام الصادق عليه السلام كانوا يتمركزون بشكل أساسي في الكوفة، ويمكن الادعاء بأن هؤلاء الوكلاء كانوا عبارة عن ثلاثة أشخاص، تناوبوا على مرتبة الوكالة والنيابة عن الإمام عليه السلام بالتتالي، بحيث كان يتم تعيين التالي بعد وفاة السابق له، وهؤلاء هم جابر بن يزيد الجعفي، وعبدالله بن أبي يعفور، والمفضل بن عمر الجعفي. فأول الوكلاء جابر كان في فترة حكم بني أمية، ومن بعده ابن أبي يعفور وكان في الفترة الانتقالية أي نهاية حكم بني أمية وبداية حكم بني العباس، ومن بعدهما المفضل بن عمر في فترة الحكم العباسي. وفيما يلي تراجم هؤلاء الوكلاء رضوان الله عليهم.

أولاً: جابر بن يزيد الجعفي:

قال الطوسي في رجاله: جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي، توفي سنة ثمان وعشرين ومائة، على ما ذكر ابن حنبل، وقال يحيى بن معين: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وقال القتيبي: هو من الأزد.

والمعروف بأن جابر الجعفي رحمه الله كان من تلامذة وخواص الإمام الباقر عليه السلام ومن أقرب أصحابه إليه، وأنه كان باباً له كما ورد، وأنه حباه من العلم بما لم يفصح عنه لغيره.

وعاش جابر بعد مضي الإمام الباقر عليه السلام أربعة عشر عاماً أو أكثر، والذي يمكن استظهاره هو أنه بقي باباً أو وكيلاً للإمام الصادق عليه السلام بعد ذلك لا ينافسه في ذلك أحد.

قال النوري: روى الحسين بن حمدان، عن أحمد بن يوسف بن محمّد، عن أبي سكينة، عن عمرو بن الزهير، عن الصادق عليه السلام، قال: إنّما سُمّي جابر لأنه جبر المؤمنين بعلمه، وهو بحر لا ينزح، وهو الباب في دهره والحجة على الخلق من حجّة الله أبي جعفر محمّد بن علي عليه السلام.

ويُلاحظ من هذه الرواية مقام جابر رحمه الله، فهو جبر المؤمنين أي أصلح شأنهم بالعلوم التي تعلّمها من الأئمة عليهم السلام، وهو بحر لا تنفذ عطاياه العلمية للشيعة ولغيرهم، وهو باب الوصول إلى علوم أهل البيت عليهم السلام، وحجّة بذلك على الناس من قبل الإمام عليه السلام، وهذه بلا شك منزلة كبيرة وشأن عظيم.

وتنوّعت روايات جابر رضوان الله عليه في التفسير وعلوم القرآن وكَثُرتْ في المعارف ومقام الإمامة الإلهية، ولم تكن قليلة أيضاً في الفقه والأحكام والشرائع، وتشير بعض المرويات إلى أنه حمل من الإمام الباقر عليه السلام خمسون ألف حديث، وفي بعضها سبعون ألف أو تسعون ألف حديث(الخوئي)، ولعل الاختلاف ناشئ عن الفترة الزمنية، فقد يكون إلى سنة معينة كان لديه خمسون وبعدها بزمن صاروا سبعون أو تسعون ألفاً، ولاشك بأن هذا الحجم الضخم من الروايات (إذا عرفنا أن الكتب الأربعة برمّتها تحوي أقل من ٤٢٠٠٠ قول وحديث للأئمة عليهم السلام)(نيومان) يشير إلى مدى عناية الإمام الباقر عليه السلام بجابر وحجم المسئوليات التي فوّضها إليه.

وهناك روايات تشير إلى أن جابر تتلمذ على يد الإمام عليه السلام لمدة ١٨ عاما، وإذا عرفنا بأن مدة إمامة الإمام الباقر عليه السلام كانت ٢٠ عاماً فإن ذلك قد يعني بأن جابر بدأ تتلمذه على يد الإمام عليه السلام في السنة الثانية لإمامته الشريفة وحتّى السنة ما قبل الأخيرة حيث فارقه وودعه وسأله أن يوصيه.

وهناك بعض الروايات في سيرة جابر تحتاج إلى بعض التأمل، حيث ورد عن الكشي: عن جبرئيل بن أحمد، حدثني الشجاعي، عن محمد بن الحسين، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام وأنا شاب، فقال: من أنت؟

قلت: من أهل الكوفة.

قال عليه السلام: ممن؟

قلت: من جعفي.

قال عليه السلام: ما أقدمك إلى المدينة؟

قلت: طلب العلم.

قال عليه السلام: ممن؟

قلت: منك.

قال عليه السلام: فإذا سألك أحد من أين أنت؟ فقل من أهل المدينة.

(قال) قلت: أسألك قبل كل شيء عن هذا، أيحلُّ لي أن أكذب!؟

قال عليه السلام: ليس هذا بكذب، من كان في مدينة فهو من أهلها حتى يخرج.

(قال) ودفع إليَّ كتاباً وقال لي: إن أنت حدّثتَ به حتى تهلك بنو أمية، فعليك لعنتي ولعنة آبائي، وإذا أنت كتمت منه شيئاً بعد هلاك بني أمية فعليك لعنتي ولعنة آبائي.

ثم دفع إليَّ كتاباً آخر، ثم قال: وهاك هذا، فإن حدّثتَ بشيء منه أبداً فعليك لعنتي ولعنة آبائي.

فالواضح من الرواية أن الإمام عليه السلام أعطاه كتباً فيها من علومهم عليهم السلام، ولا أظن بأن الإمام عليه السلام أعطاه هذه الكتب في يوم لقائه الأول به وإنما هو تعبير عن العلوم التي اختزنها جابر (سواء كانت مروية أو مكتوبة) من الإمام طيلة سنوات مرافقته له وتتلمذه على يديه، فحتى تلك اللحظة لم يكن جابر قادر على تحمل كل تلك العلوم وهو في اليوم الأول من لقائه بالإمام عليه السلام.

وهناك مسألة أخرى تحتاج للتأمل وهي توقيت إذاعة تلك العلوم بهلاك بني أمية (قبل هلاكهم وبعد هلاكهم) والحال إن جابر رحمه الله مات قبل هلاك بني أمية في كل الأحوال، فكيف يُوقّت له الإمام عليه السلام نشر جزء كبير من علومه بعد هلاكهم!؟ فالرواية قد تكون مضطربة هنا، والله العالم.

ويبدو أن العلوم التي حمّلها الإمام عليه السلام لجابر كانت على صنفين أو ثلاثة، الأول لعوام الناس، والثاني لشيعة أهل البيت عليهم السلام بالخصوص، والثالث له خاصة تعينه على تحمل دوره والسير في طريقهم عليهم السلام، وقد يبدو من ظاهر بعض الروايات أن الحجم الأكبر من علوم جابر كان له فقط ولم يظهره للناس، ولكن الذي أظنه بأن هذا القول إنما هو على سبيل التقيّة للتخفيف من تأثير جابر في أعين السلطات والمخالفين، فلو أن جابر لم يكن يُظهر تلك العلوم لما كانت له تلك المنزلة بين عامة الناس والشيعة خاصة، بل إن ما ورد عنه لم يكن بالقليل على الإطلاق، وكيف كان سيجبر المؤمنين – كما قال الإمام الصادق عليه السلام – وهو يخفي علومه عنهم!؟

وقد نهاه الإمام الصادق عليه السلام من إظهار تأييده للحركات السياسية والاحتجاجية التي قامت ضد بني أمية في زمانه حتى لو كانت مُؤيّدة من جهة أهل البيت عليهم السلام كانتفاضة زيد الشهيد، وذلك لحفظ حياته وليتفرغ لملاحظة أمر الشيعة ولبث علوم أهل البيت عليهم السلام بعيداً عن أية مخاطر أو توترات حادة.

أقول: كما العديد من أصحاب الأئمة عليهم السلام الأجلّاء من ذوي المراتب السامقة تعرّض جابر الجعفي كذلك للكثير من القيل والقال وتشكيك الحال، ورُمي في بعض كتب الرجاليين بالغلو وباختلاط العقل وبالضعف وبغير ذلك، وأحد الأمور الذي ساهمت في ذلك هي السنوات التي ادّعى فيها الجنون تقيّةً بأمر من الإمام الباقر عليه السلام وذلك حفاظاً على حياته من أن يطلبه السلطان في تلك الفترة، ومع ذلك لا يبدو بأن امرئٍ كجابر قد أضاع تلك السنوات في ادّعاء الجنون وهو ما كان يظهره لعامة الناس، وإنما يشهد تراثه التفسيري والروائي والفقهي على أن من مثله وإن اضطر للظهور بمظهر سلبي أمام الناس إلا أن وقته كان مليئاً بتحصيل العلم من جهة وإنتاجه من جهة أخرى، بحسب السياقات التي اختطّها له أئمة أهل البيت عليهم السلام.

وقال السيد الخوئي بعد إيراد أقوال الرجاليين فيه: أقول: الذي ينبغي أن يُقال إن الرجل لابد من عدّه من الثقات الأجلّاء لشهادة علي بن إبراهيم، والشيخ المفيد في رسالته

العددية، وشهادة ابن الغضائري على ما حكاه العلامة، ولقول الصادق عليه السلام في صحيحة زياد (إنه كان يصدق علينا). ... وتقدم من الروايات الدّالة على جلالته ومدحه وأنه كان عنده من أسرار أهل البيت عليهم السلام، كما يؤيد ذلك ما رواه الصفار في (بصائر الدرجات) في الحديث ٤ من الباب ١٣ من الجزء ٢، من أن الصادق عليه السلام أراه ملكوت السماوات والأرض.

وقال النجاشي: له كتب منها: كتاب التفسير: أخبرناه أحمد بن محمد بن هارون قال، حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال، حدثنا محمد بن أحمد بن خاقان النهدي قال، حدثنا محمد بن علي أبو سمينة الصيرفي قال، حدثنا الربيع بن زكريا الورّاق، عن عبدالله بن محمد، عن جابر، به.

وكتاب النوادر: أخبرنا أحمد بن محمد الجندي قال، حدثنا محمد بن همام قال، حدثنا جعفر بن محمد بن مالك قال، حدثنا القاسم بن الربيع الصحّاف قال، حدثنا محمد بن سنان، عن عمار بن مروان، عن المنخل بن جميل، عن جابر به.

وكتاب الفضائل: أخبرنا أحمد بن محمد بن هارون، عن أحمد بن محمد بن سعيد، عن محمد بن أحمد بن الحسن القطواني، عن عباد بن ثابت، عن عمرو بن شمر، عن جابر به.

وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب النهروان، وكتاب مقتل أمير المؤمنين عليه السلام، وكتاب مقتل الحسين عليه السلام. روى هذه الكتب الحسين بن الحصين العمي قال، حدثنا أحمد بن إبراهيم بن معلّى قال، حدثنا محمد بن زكريا الغلّابي، وأخبرنا ابن نوح، عن عبدالجبار بن شيران الساكن نهر خطى، عن محمد بن زكريا الغلّابي، عن جعفر بن محمد بن عمار، عن أبيه، عن عمرو بن شمر، عن جابر بهذه الكتب.

وقال الشيخ في الفهرست: له أصل: أخبرنا به ابن أبي جيد، عن ابن الوليد، عن الصفّار، عن أحمد بن محمد بن عيسى، عن عبدالرحمن بن أبي نجران، عن المفضل بن صالح، عنه، ورواه حميد بن زياد، عن إبراهيم بن سليمان، عن جابر.

ثانياً: عبدالله ابن أبي يعفور العبدي:

قال النجاشي: عبدالله بن أبي يعفور العبدي، واسم أبي يعفور واقد وقيل وقدان، يُكنّى أبا محمد، ثقة ثقة جليل في أصحابنا، كريم على أبي عبدالله عليه السلام ومات في أيامه.

وعن الكشي، قال:(الطوسي) حمدويه، عن الحسن بن موسى، عن علي بن حسان الواسطي الخزاز قال، حدثنا علي بن الحسين العبيدي، قال: كتب أبوعبدالله عليه السلام إلى المفضل بن عمر الجعفي حين مضى عبدالله بن أبي يعفور: يا مفضل، عهدت إليك عهدي كان إلى عبدالله بن أبي يعفور عليه السلام، فمضى عليه السلام موفياً لله عز وجل ولرسوله ولإمامه بالعهد المعهود لله، وقُبض صلوات الله على روحه محمود الأثر مشكور السعي مغفوراً له مرحوماً برضا الله ورسوله وإمامه عنه. بولادتي من رسول الله صلى الله عليه وآله ما كان في عصرنا أحد أطوع لله ولرسوله ولإمامه منه، فما زال كذلك حتى قبضه الله إليه برحمته وصيّره إلى جنّته، مساكناً فيها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام، أنزله الله بين المسكنين مسكن محمد وأمير المؤمنين عليهما السلام، وإن كانت المساكن واحدة، فزادهُ الله رضىً من عنده ومغفرةً من فضله برضاي عنه.

وعنه: عن حمدويه، قال: حدثنا محمد بن الحسين، عن الحكم بن مسكين الثقفي قال، حدثني أبوحمزة معقل العجلي، عن عبدالله بن أبي يعفور، قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: والله لو فلقت رمانة بنصفين، فقلت هذا حرام وهذا حلال، لشهدت أن الذي قلت حلال حلال، وأن الذي قلت حرام حرام.

فقال عليه السلام: رحمك الله.

وعن المفيد في الاختصاص: عن عدة من مشايخنا، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمد ابن عيسى، عن أبي نجران، عن محمد بن يحيى، عن حمّاد بن عثمان، قال : أردت الخروج إلى مكة، فأتيت ابن

أبي يعفور مُودّعاً له، فقلت: ألك حاجة؟

قال: نعم، تقرأ أبا عبدالله عليه السلام السلام.

(قال): فقدمت المدينة، فدخلت عليه، فساءلني ثم قال: ما فعل ابن أبي يعفور؟

(قال): قلت: صالحٌ جُعلتُ فداك. آخر عهدي به، وقد أتيته مودعاً له فسألني أن أُقرئك السلام.

قال عليه السلام: وعليه السلام، أقرأه السلام صلّى الله عليه، وقل: كن على ما عهدتك عليه.

وعنه: عن جعفر بن الحسين، عن محمد بن الحسن، عن محمد بن الحسن الصفار، عن إبراهيم بن هاشم، عن ابن أبي عمير، قال: أخبرني سليمان الفرّاء، عن عبدالله بن أبي يعفور، قال: كان أصحابنا يدفعون إليه الزكاة يقسمها في أصحابه، فكان يُقسّمها فيهم وهو يبكي.

(قال سليمان) فأقول له: ما يبكيك!؟

(قال) فيقول: أخاف أن يروا أنها من قِبَلي.

وقال الخوئي: عدّه الشيخ المفيد في رسالته العددية من الفقهاء الأعلام والرؤساء المأخوذ عنهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام، الذين لا يطعن عليهم ولا طريق لذم واحد منهم. وعدّه ابن شهرآشوب من خواص أصحاب الصادق عليه السلام.

ثالثاً: المفضل بن عمر الجعفي:

قال المهاجر: ولد في الكوفة في زمان إمامة الامام محمد بن علي الباقر عليه السلام. وقد استظهر المهاجر بأنه قد يكون من مواليد عام ١٠٠ للهجرة، وبالتالي فإنه قد يكون استلم الوكالة في سن مبكرة أي بين الثلاثين والأربعين من عمره، وكان وكيلاً للإمام موسى الكاظم بعد أبيه الصادق عليه السلام.

وعدّه المفيد في الإرشاد من شيوخ أَصحاب أَبي عبدِالله وخاصّتِهِ وبطانتِهِ وثِقاتِهِ الفقهاءِ الصّالحينَ رَضوانُ اللهِ عليهم، وقد تقدم في ترجمة عبدالله بن أبي يعفور، رواية علي بن الحسين العبيدي، حيث قال: كتب أبو عبدالله عليه السلام إلى المفضل بن عمر الجعفي حين مضى عبدالله بن أبي يعفور: يا مفضل عهدت إليك عهدي كان إلى عبدالله بن أبي يعفور صلوات الله عليه.

وفي رواية عبدالله بن الفضل الهاشمي، قال: كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، إذ دخل المفضل بن عمر، فلما بصر به ضحك إليه، ثم قال: إلي يا مُفضّل، فوربي إني لأحبك وأحب من يحبك، يا مفضل لو عرف جميع أصحابي ما تعرف ما اختلف اثنان.

- **المعلّى بن خنيس أبو عبدالله:**

إلى جانب الوكلاء العامون، عيّن الإمام عليه السلام وكلاء بمسئوليات وصلاحيات محددة، وهؤلاء لم يكونوا في الكوفة، وإنما هناك نموذج لهم في المدينة المنورة أو ربما في أماكن متفرقة أخرى، فمثلاً في المدينة المنورة يبدو أن شخصاً مثل المعلّى بن خنيس قد عيّنه الامام عليه السلام وكيلاً له للقيام ببعض المهمات ومتابعة ما يجري مع بعض أصحابه من الشيعة في المدينة المنورة إلى جانب بعض المسئوليات المالية، خصوصاً في حال غياب الامام عليه السلام عن المدينة المنورة لسفر أو عمرة أو ما أشبه.

قال النجاشي: معلى بن خنيس أبو عبدالله، مولى الصادق جعفر بن محمد عليه السلام، ومن قبله كان مولى بني أسد، كوفي، بزّاز.

عدّه الطوسي في كتاب الغيبة من السفراء الممدوحين، وقال: ومنهم المعلّى بن خنيس، وكان من قوّام أبي عبدالله عليه السلام، وإنما قتله داود بن علي بسببه، وكان محموداً عنده ومضى على منهاجه، وأمره مشهور.

فروي عن أبي بصير، قال: لما قتل داود بن علي المعلّى بن خنيس فصلبه، عظم ذلك على أبي عبدالله عليه السلام واشتد عليه، وقال له: يا داود، على ما قتلت مولاي وقيّمي في مالي وعلى عيالي!؟

ويلاحظ تعبير الرواية بقول الإمام عليه السلام (قيمي في مالي وعلى عيالي).

قُتل شهيداً على يد الوالي العباسي داود بن علي وذلك في السنة الثانية من حكم بني العباس أي ١٣٣ هـ، وكان الإمام عليه السلام وقت الحادثة بمكة المكرمة، فتجرّأ داود على التعرض للمعلّى وطلب منه أسرار عمل الامام عليه السلام، فلما رفض قتله وصلبه إلى أن رجع الامام عليه السلام على إثر سماعه للخبر، فذهب من فوره إلى الوالي واستنكر عليه فعله، فحاول داود التبرّؤ مما حدث وألقى باللوم على رئيس الشرطة السيرافي، فأمر الامام عليه السلام ابنه إسماعيل بضرب عنق صاحب الشرطة، فمضى إسماعيل إلى مجلس السيرافي وأخرجه وضرب عنقه أمام الناس كما فعل بالمعلّى، وتوعّد الامام عليه السلام داود بالدعاء عليه فاستخف بذلك، فدعا عليه الإمام عليه السلام في تلك الليلة، فمات في فراشه عند الفجر.

فقال له المفضل: يا ابن رسول الله، لقد حسبت أن أكون قد أُنزلت فوق منزلتي.

فقال عليه السلام: بل أُنزلت المنزلة التي أنزلك الله بها.

وروى الكشي: عن محمد بن قولويه قال، حدثني سعد بن عبد الله قال، حدثني محمد بن الحسين بن أبي الخطاب، عن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يوماً ودخل عليه الفيض بن المختار، فذكر له آية من كتاب الله عز وجل تأوّلها أبوعبدالله عليه السلام، فقال له الفيض: جعلني الله فداك، ما هذا الاختلاف الذي بين شيعتكم!؟

قال عليه السلام: وأي الاختلاف يا فيض؟

فقال له الفيض: إني لأجلس في حلقهم بالكوفة فأكاد أشك في اختلافهم في حديثهم، حتى أرجع إلى المفضل بن عمر، فيوقفني من ذلك على ما تستريح اليه نفسي، ويطمئن إليه قلبي .

فقال أبوعبدالله عليه السلام: أجل هو كما ذكرت يا فيض.

وعن الكليني: عن ابن سنان، عن أبي حنيفة سائق الحاج، قال: مر بنا المفضل وأنا وختني نتشاجر في ميراث، فوقف علينا ساعة ثم قال لنا: تعالوا إلى المنزل.

فأتيناه، فأصلح بيننا بأربعمائة درهم، فدفعها إلينا من عنده، حتى إذا استوثق كل واحد منا صاحبه، قال: أما إنها ليست من مالي، ولكن أبو عبدالله عليه السلام أمرني إذا تنازع رجلان من أصحابنا في شيء أن أصلح بينهما وأفتديها من ماله، فهذا من مال أبي عبدالله عليه السلام.

وعن الكشي: قال نصر بن الصباح رفعه، عن محمد بن سنان، عن عدة من أهل الكوفة كتبوا إلى الصادق عليه السلام، فقالوا: إن المفضل يُجالس الشطّار وأصحاب الحمام وقوماً يشربون الشراب، ينبغي أن تكتب إليه وتأمره ألّا يجالسهم.

فكتب إلى المفضل كتاباً وختمه ودفعه إليهم، وأمرهم أن يدفعوا الكتاب من أيديهم إلى يد المفضل، فجاءوا بالكتاب إلى المفضل، منهم زرارة، وعبدالله بن بكير، ومحمد بن مسلم، وأبو بصير، وحجر بن زائدة، ودفعوا الكتاب إلى المفضّل، ففكّه و قرأه، فإذا: (بسم الله الرحمن الرحيم، اشتر كذا وكذا واشتر كذا)، و لم يذكر فيه قليلاً ولا كثيراً مما قالوا فيه.

فلما قرأ الكتاب دفعه إلى زرارة، ودفع زرارة إلى محمد بن مسلم، حتى دار الكتاب إلى الكل، فقال المفضل: ماذا تقولون؟

قالوا: هذا مال عظيم! حتى ننظر ونجمع ونحمل إليك، ثم لم ندرك الإنزال بعد نظر في ذلك.

وأرادوا الانصراف، فقال المفضل: تغدّوا عندي.

فأجلسهم لغدائه، ووجّه المفضل إلى أصحابه الذين سعوا بهم، فجاءوا وقرأ عليهم كتاب أبي عبدالله عليه السلام، فرجعوا من عنده وجلس هؤلاء ليتغدّوا، فرجع الفتيان وحمل كل واحد منهم على قدر قوّته ألفاً وألفين وأقل وأكثر، فحضروا وأحضروا ألفي دينار وعشرة آلاف درهم قبل أن يفرغ هؤلاء من الغداء، فقال لهم المفضل: تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي!؟ تظنون أن الله تعالى محتاج إلى صلاتكم وصومكم!؟

أقول: يلاحظ حتى الآن عدة أمور:

١. إن المفضل رحمه الله كان يقوم بعدة أدوار منها البت في اختلافات الرأي بين الشيعة خصوصاً في المسائل الاعتقادية، كما تبين رواية الفيض (حتى أرجع إلى المفضل بن عمر، فيوقفني من ذلك على ما تستريح اليه نفسي، ويطمئن إليه قلبي)، وأنه كان مسؤولاً عن رد وتصويب من انحرفت عقائدهم كأصحاب أبي الخطّاب، وأنه يبت في الخلافات المالية حتى الشخصية منها (مشكلة الإرث بين اثنين من الشيعة)، وأنه كان يجالس ويرعى الطبقات الشعبية والعامة من الشيعة، ولا ينبذهم فيضلّوا (الشطّار وأصحاب الحمام وقوماً يشربون

الشراب)، ولا يقصر نفسه على النخب العلمائية والمثقّفة والمعروفين بالاستقامة والالتزام الديني (كما قد يكون ديدن الفقهاء والمتكلمين)، وإلى جانب ذلك كله فقد كان عالماً فقيهاً ومؤلفاً بارعاً وصاحب أصول كما سيأتي، وقد روى الكليني عن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن محمد بن خالد البرقي، عن بعض أصحابه، عن أبي سعيد الخيبري، عن المفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبدالله عليه السلام: اكتب وبث علمك في إخوانك، فإن مت فأورث كتبك بنيك، فإنه يأتي على الناس زمان هرج لا يأنسون فيه إلا بكتبهم.

٢. في الرواية الأخيرة من الروايات التي ذكرناها لحد الآن، يلاحظ إن الذين شكوا المفضل هم من رؤوس شبكة الفقهاء، وأنهم شكوه للإمام عليه السلام لأنهم يعرفون منزلته عنده، وكان في رأيهم الخاص أن ما يقوم به المفضل غير لائق الصدور من قبل أحد رؤوس الشيعة.

٣. ويلاحظ أن الإمام عليه السلام عندما شكوه إليه، أراد توضيح وضع المفضل بصورة عملية فكتب ذلك الكتاب بالصيغة التي كتبها، وقد كان المفضل نبيهاً حيث فتح الكتاب أمامهم وأقرأهم إيّاه، ثم أبقاهم للغداء لكي تتيح لهم مهلة الأكل معرفة ما سيفعله هؤلاء الذين حقّروهم وحقّروا عملهم.

٤. لكي نعرف حجم الأموال التي أحضرها أصحاب المفضل خلال ساعة أو ساعتين من الزمن (ألفي دينار وعشرة آلاف درهم)، من الجيد أن نبرز المقارنة التالية وهي أن سعر ١٠٠ كيلوغرام من القمح في العراق في ذلك الزمان كان يتراوح ما بين ٠,١١٢ الى ٠,٥١ من الدينار الواحد، وإن الراتب الشهري للجندي في زمن أبو العباس السفّاح كان يساوي ستة دنانير ونصف،(Asatryan) وهذا في دولة لا زالت تعتمد على المقاتلين والجنود لتثبيت حكمها الجديد.

٥. إن أتباع المفضّل جلبوا كل هذه الأموال في فترة قصيرة جداً، وأنهم لمن يناقشوه في علّة طلب هذه الأموال ولم يتلكّؤوا في تنفيذ طلبه.

٦. لماذا كان المطلوب شراء أشياء يبدو أنها كلها من احتياجات الناس في حياتهم اليومية (بالتأكيد لم تكن المشتريات سلاحاً وشبهه) بهذه المبالغ الضخمة؟ على الأرجح أن المفضّل كان يشتري مؤناً وما شابهها بكميات كبيرة ومن ثم يقوم بتوزيعها على عوام الشيعة وخواصهم من ذوي الحاجات منهم، فلم يكن طلب الإمام عليه السلام من المفضل شراء أمور بذلك المبلغ فقط للاستعراض أو للمحاججة. أي إن جمع الأموال وشراء المؤن والموارد وتوزيعها على الشيعة بمختلف صنوفهم كان من مهمات الوكيل العام أيضا.

٧. حينما قال المفضل لكبار فقهاء الشيعة (تأمروني أن أطرد هؤلاء من عندي!؟ تظنون أن الله تعالى محتاج إلى صلاتكم وصومكم!؟) لم يكن يريد الاستخفاف بصلاتهم وعبادتهم، ولكن أراد أن يبيّن لهم فضل هؤلاء الذين استحقروهم،

- نصر بن قابوس اللخمي:

كما يظهر بأن الامام عليه السلام عيّن وكلاءً خاصين لمهمات خاصة، لعلها مرتبطة بتمثيله عليه السلام في المناطق الأخرى (المناطق الغربية من البلاد الإسلامية) التي لا يحضرها وكيل عام أو تكون بعيدة عن التواصل مع الامام عليه السلام وهو في الحجاز، وقد تكون مسئولية هؤلاء الوكلاء مالية أو تعليمية أو افتائية أو غير ذلك، ولربما يكون من أمثلة هؤلاء نصر بن قابوس اللخمي.

قال النجاشي: نصر بن قابوس اللخمي القابوسي، روى عن أبي عبدالله وأبي إبراهيم وأبي الحسن الرضا عليهم السلام، وكان ذو منزلة عندهم.

عدّه الشيخ المفيد في الإرشاد من خاصة أبي الحسن موسى عليه السلام وثقاته ومن أهل الورع والعلم والفقه من شيعته.

وعدّه الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة من السفراء الممدوحين، قائلاً: ومنهم نصر بن قابوس اللخمي، وروي أنه كان وكيلا لأبي عبدالله عليه السلام عشرين سنة ولم يُعلم أنه وكيل، وكان خيّراً فاضلا.

فعبادة الانسان تكون بينه وبين ربه، بينما عمله الاجتماعي (جمع الأموال وتوزيعها على المحتاجين مثلاً) أعظم درجة لأنها ذات أثر اجتماعي يتعدى الفرد القائم به الى فئة واسعة من المؤمنين. والملاحظ أن المفضّل لم يقارن الأمر بنشاطهم العلمي لأن نشر العلم أيضاً عملية مجتمعية، وإنما قارن بين عمل هؤلاء المجتمعي وعبادة أولئك والتي هي مسئولية فردية في الأساس ولا يكون لها وزن أثقل إلّا إذا انعكست اجتماعياً ﴿تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾(العنكبوت ٤٥).

٨. يبدو بأن المذكورين في الرواية كلهم من أهل المنزلة الاجتماعية والعلمية وإنهم سبقوا المفضل في السن وفي ارتباطهم بأهل البيت عليهم السلام (كان زرارة وابن مسلم وأبو بصير من خواص تلامذة الامام الباقر عليه السلام حين كان المفضل صبيّاً صغيراً)، ومع ذلك فقد حفظوا للمفضل مكانته ومنزلته كوكيل عام للإمام الصادق عليه السلام.

٩. وأخيراً وليس آخراً فإن رعاية المفضّل لمثل أولئك من الطبقة الدنيا من المجتمع الشيعي هي لجرّهم مع الوقت الى الطريق الصواب والسلوك الأمثل، فإن هؤلاء إذا نفر منهم الوجهاء والفقهاء وأصحاب المنزلة في الدين، نفروا هم أيضاً من الدين وضلّوا وتاهوا وصارت دنياهم ضلالاً وأُخراهم وبالاً، فكان عمله معهم مما ارتضاه الإمام عليه السلام وصوّبه ولم يعترض عليه قيد أنملة.

وهناك روايات تدل على شدة علاقة المفضّل بالأئمة عليهم الصلاة والسلام، كرواية الكشي، عن محمد بن مسعود، قال: حدثني عبدالله بن خلف قال، حدثنا علي بن حسان الواسطي قال، حدثني موسى بن بكير، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول لمّا أتاه موت المفضل بن عمر، قال: رحمه الله، كان الوالد بعد الوالد، أما إنه قد استراح.

وقد وردت روايات في ذم المفضل كما وردت في ذم زيد عليه السلام وزرارة ومحمد بن مسلم وأبو بصير وغيرهم، وكل هذه الروايات جاءت في موارد التقية كما هو واضح من سياق السيرة الشريفة للإمام عليه السلام، وكلّها كما يلاحظ وردت في زمان واحد هو زمان الإمام الصادق عليه السلام، بينما نفس هؤلاء الأشخاص لم يجر عليهم إلا المديح من قبل الأئمة الذين جاءوا بعد الصادق عليه السلام كالكاظم والرضا عليهما السلام أجمعين.

وقال الخوئي بأن أمثال هذه الروايات لابد من حملها على ما حملنا عليه ما ورد من الروايات في ذم زرارة ومحمد بن مسلم وبريد بن معاوية وأضرابهم، ويؤكد ذلك أن الاختلاف إنما هو في الروايات التي رويت عن الصادق عليه السلام، وأما ما رُوي عن الكاظم والرضا عليهما السلام فكلها مادحة على ما تقدم، وهذا يكشف عن أن القدح الصادر عن الصادق عليه السلام إنما كان لعلة.

وقال: يكفي في جلالة المفضل تخصيص الإمام الصادق عليه السلام إيّاه بكتابه المعروف بتوحيد المفضل، وهو الذي سمّاه النجاشي بكتاب فكر، وفي ذلك دلالة واضحة على أن المفضل كان من خواص أصحابه ومورد عنايته.

وأما كتبه، فهي: كتاب ما افترض الله على الجوارح من الإيمان، وكتاب يوم وليلة، وكتاب توحيد المفضّل، وكتاب علل الشرائع.

وقال الشيخ في الفهرست: له وصية يرويها، أخبرنا بها ابن أبي جيد، عن محمد بن الحسن، عن الصفار، والحسن بن متيل، عن محمد بن الحسين، عن محمد بن سنان، عنه، وله كتاب، أخبرنا به جماعة عن التلعكبري، عن ابن همام، عن حميد، عن أحمد بن الحسن البصري، عن أبي شعيب المحاملي، عنه.

المصادر

١. الخوئي، السيد أبو القاسم الموسوي. **معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة**، الطبعة الخامسة، مؤسسة الإمام الخوئي الإسلامية، النجف الأشرف.

٢. الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي. **اختيار معرفة الرجال (المعروف برجال الكشي)**، الطبعة الأولى، (١٤٢٧هـ)، (تحقيق: الإصفهاني، جواد القيّومي)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

٣. الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي. **رجال الطوسي**، الطبعة الخامسة، (١٤٣٠هـ)، (تحقيق: الأصفهاني، جواد القيومي)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

٤. الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي. **كتاب الغيبة**، الطبعة الأولى، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، (تحقيق: الطهراني، الشيخ عباد الله؛ ناصح، الشيخ علي أحمد)، منشورات الرضا، بيروت.

٥. الطوسي، شيخ الطائفة أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي. **الفهرست**، الطبعة الأولى، (١٤١٧هـ)، (تحقيق: القيومي، الشيخ جواد)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت.

٦. الكليني، الشيخ محمد بن يعقوب. **الكافي**، الطبعة الأولى، (١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م)، دار المرتضى، بيروت.

٧. المهاجر، جعفر. **أعلام الشيعة**، دار المؤرخ العربي، بيروت.

٨. المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان. **الاختصاص**، الطبعة الأولى، (١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م)، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.

٩. المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان. **الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد**، الطبعة الأولى، (١٩٩٥م/ ١٤١٦هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت.

١٠. النجاشي، الشيخ أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس. **رجال النجاشي (فهرست أسماء مصنفي الشيعة)**، الطبعة السادسة، (١٤١٨هـ)، (تحقيق: الزنجاني، السيد موسى الشبيري)، مؤسسة النشر الإسلامي، قم المقدسة.

١١. النوري، الميرزا حسين. **خاتمة مستدرك الوسائل**، الطبعة الأولى، (١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، بيروت.

١٢. نيومان، آندرو جي. الحقبة التأسيسية للتشيع الإثني عشري: **خطاب الحديث بين قم وبغداد**، الطبعة الأولى، (٢٠١٩)، (ترجمة: زهير، علي)، جامعة الكوفة، بيروت.

13 - Asatryan, M., Bankers and Politics: The Network of Shi'i Moneychangers in Eighth-Ninth Century Kufa and their Role in the Shi'i Community, **Journal of Persianate Studies**, (2014), No. 7, pp 1-21.

أسماء

تصدر عن:
رضوى للإنتاج الثقافي

للمراسلات:
asmaaletterhead@gmail.com

توضيح:
محتوى **أسماء** متاح للراغبين في الاقتباس، مع ملاحظة نسب الاقتباسات إلى النشرة.

رضوى
للانتاج الثقافي